على المولى والتوكل عليه في كل حال وقد اكد التوكل عليه تعالى حيث قال
واعلم ان الامة لو اجتمعت الخ كما يشهد به قوله تعالى وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله والمعنى
وحد الله تعالى في لحوق الضر والنفع فهو الضار النافع ليس معه احد في
ذلك لما تقرر ان ازمة الموجودات بيده سبحانه منعا واطلاقا
فاذا اراد غيرك ضرك بما لم يكتب عليك دفعه تعالى عنك بصرف ذلك
الضر عن مراده بعارض من عوارض القدرة الباهرة مانع من الفعل
من اصله كمرض او نسيان او صرف قلب او من تاثيره ككسر قوس وفساد
رميه فهذا تقرير وتاكيد لما قبله من الايمان بالقدر خيره وشره
وتوحيده تعالى في لحوق الضر والنفع على ابلغ برهان وحث على التوكل
والاعتماد على الله تعالى في جميع الامور على شهود انه تعالى وحده
هو المؤثر في الوجود النافع الضار وغيره ليس له شيء من ذلك وعلى
الاعراض عن السوى ان من تيقن ذلك لم يشهد الضر والخير الا من مولاه
ولم ينزل حاجته الا اليه ونعوذ بالله من اعتقاد نفع او ضر من يد غيره
كما قال تعالى فان ذلك هو عين الشرك الاصغر بل الاكبر كما لا يخفى
وقوله كتبه الله لك وكتبه عليك موافق لما مر من قوله صلى الله
عليه وسلم يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد قوله رفعت الاقلام
اي تركت وتمت كتابة ما كان وما يكون لفراغ الامر وابرامه قوله
وجفت الصحف اي التي فيها مقادير الكائنات كاللوح المحفوظ اي
فرغ من الامور وجفت كتابته لان الصحيفة حال كتابتها لابد ان
تكون رطبة المداد او بعضه فلم يمكن بعد ذلك ان يكتب فيها تبديل
او نسخ لما كتب من ذلك واستقر لما انتهى امور لا تبدل ولا تغير عما هي عليه
فذلك كناية عن فقد كتابة المقادير كلها والفراغ منها من امد بعيد
وهذا من احسن الكنايات وابلغها وقد دل الكتاب والسنة على
ذلك فمن علم ذلك وشهده بعين بصيرته هان عليه التوكل على مولاه
والاعراض عما سواه فان قلت هذا الخبر ينافي قوله تعالى يمحو الله
ما يشاء ويثبت قلنا لا لان المحو والاثبات مما جفت به الصحف
ايضا لان القضا مبرم ومعلق ذكره الكازروني قوله رويناه في الترمذي
قال بعض المحققين رواه جماعة من طريق عن ابن عباس وجا انه صلى
الله عليه وسلم وصاه بذلك عن علي وابي سعيد وسهل بن سعيد وعبد الله
ابن جعفر وفي اسانيدها كلها ضعف قال ابن منده وغيره واصح الطرق
كلها الطريق التي اخرجها الترمذي قوله وفي رواية غير الترمذي وهو
عبد بن حميد في مسنده لكن باسناد ضعيف ورواه احمد باسناد حسن

منقطعين

منقطعين باعلام او يا غليم الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن فقلت بلى
فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في
الرخا يعرفك في الشدة فاذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن
بالله قد جف القلم بما هو كائن فلو ان الخلق جميعا ارادوا ان ينفعوك
بشيء لم يقضه الله لم يقدروا عليه وان ارادوا ان يضروك بشيء لم
يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه واعلم ان الصبر على ما تكره خير كثير
وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا وهذا
اتم من حديث عبد بن حميد الذي ذكره المص بقوله وفي رواية غير
الترمذي احفظ الله الخ قوله تعرف الى الله في الرخا اي تحبب
اليه سبحانه بلزوم طاعته واجتناب مخالفته لان المعرفة سبب المحبة
والرخا اليسر وقوله يعرفك في الشدة اي يمدك فيها بتفريجها عنك وجعله
لك من كل ضيق فرجا ومن كل هم مخرجا بواسطة ما سلف منك من ذلك
التعرف كما جرى في حديث الثلاثة اصحاب الغار السابق بيانه في باب
دعا الانسان وتوسله بصالح عمله وقيل يجوز ان يكون على تقدير
مضاف الى ملائكة الله في الرخا بالتزامك بالطاعة واظهار العبادة
يعرفك في الشدة بواسطة شفاعتهم عنه في تفريج كربك وعمله ويدل
لذلك ما في حديث ان من له دعا حال الرخا اذا دعى حال الشدة قالت
الملائكة ربنا هذا صوت نعرفه واذا لم يدع حال الرخا ودعى حال
الشدة قالوا ربنا هذا صوت لم نعرفه انتهى ونظر فيه بانه تكلف
والحديث بتقدير صحته لا يؤيده فالاولى ما تقرر اولا فائدة
كل من معرفة العبد وانه عامة وخاصة فمعرفة العبد العامة
هي الاقرار بوحدانية الله سبحانه وربوبيته والايمان والخاصة
هي الانقطاع اليه والانس به والطمانينة بذكره والحيا منه وشهوده
في كل حال ومعرفته تعالى العامة هي علمه بعباده واطلاعه على ما اسروا
وما اعلنوا والخاصة هي محبته لعبده وتقريبه اليه واجابة دعائه من
الشدائد ولا يظفر بهذه الخاصة الا من تحلى بتلك الخاصة ثم ذكر عقد
هذه الوصية وفريدتها في قوله واعلم ان ما اخطاك اي من المقادير
فلم يصل اليك لم يكن مقدرا عليك ليصيبك لانه بان بكونه اخطاك
انه مقدر على غيرك وفي الكلام مبالغة من وجوه من حيث دخول اللام
المؤكدة للنفي على معمول الخبر وتسليط النفي على الكينونة وسرايته في
الخبر وما اصابك منها لم يكن مقدرا على غيرك ليخطئك وما هو مقدر
عليك اذ لا يصيب الانسان الا ما قدر عليه والمعنى انه فرغ مما اصابك
او اخطاك من خير وشر فما اصابته وجهت من الازل فلا بد ان تقع